المحاضرة الرابعة

المغرب في عهد الدويلات المستقلة الأول (التاريخ السياسي) :

قامت في بلاد المغرب إمارات مستقلة عن الخلافة العباسية شكلت تنوعا مذهبيا

أولا : دولة بني مدرار في سجلماسة :

إن أول إمارة مستقلة ظهرت بالمغرب هي إمارة بني مدرار في جنوب المغرب الأقصى في إقليم سجلماسة [1] التي كانت بعيدة عن مركز الخلافة العباسية في المشرق ، وقد اعتنق سكانها المذهب الخارجي الصفري ، حيث التفّ أهل هذه المنطقة في البداية حول رجل اسمه عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفري الذي كان صاحب ماشية ، ولما قصد أرض سجلماسة سنة 138 هـ اجتمع حوله الناس ، وبعدها بايعه أبو القاسم بن واسول المكناسي الزناتي وحمل قومه على طاعته ، ثم شرعوا في بناء سجلماسة سنة 140 هـ [2] ، غير ا ن أهل سجلماسة أنكروا على عيسى هذا بعض الأمور فربطوه إلى جذع شجرة وطلوه بالعسل حتى قتله النحل سنة 155هـ ، وآل الحكم إلى أبي القاسم سمغون ابن واسول المكناسي الملقب بمدرار(غير أن ابن الخطيب قال بان أبو الخطاب هو من تولى بعده) وأطاعته الساكنة والتفوا حوله ، وخلفه ابنه إلياس الملقب بالوزير سنة 167 هـ ثم ثاروا عليه وخلعوه سنة 174 هـ وتولى أخاه اليسع الملقب بابي منصور الحكم الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة حيث بنى الأسوار والقصور واختط بها المصانع وزادت الغلاّت والمحاصيل وتنوعت فعمّر سجلماسة ودان له البربر وصارت لدولته هيبة وسطوة [3] ، ثم تولى ابنه المدرار الملقب بالمنتصر سنة 208 هـ الذي عمل على مهادنة الرستميين في تاهرت بعد زواجه ببنت عبد الرحمان بن رستم ، ثم خلعه قومه وتولى ابنه ميمون سنة 253 هـ ثم خلفه ابنه محمد سنة 263 هـ ثم عمه اليسع

---

[1] عن أخبار هذه الدولة انظر كذلك : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 156 – 157 .

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 171 – 172 .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص ص 583 – 585 .

سنة 270 هـ الذي في عهده قام بسجن عبيد الله المهدي وهو ما كان سببا في استجلاب الغزو الشيعي حيث زحف أبو عبد الله الشيعي على سجلماسة وقتل اليسع سنة 297 هـ وعين عليها إبراهيم بن غالب المزابي وبذلك تنكسر شوكة الدولة حيث ثار أهل سجلماسة على إبراهيم وقتلوه وولوا الفتح بن ميمون بن مدرار سنة 298 هـ ثم خلفه أخوه أبو العباس احمد سنة 300 هـ ، ثم عاود الفاطميون (في عهد المهدي) دخول سجلماسة (على يد مصالة بن حبوس) وقتلوا أبا العباس سنة 309 هـ وعينوا عليهم من بني جلدتهم المعتز بن محمد حتى مات سنة 321 هـ ، ثم خلفه ابنه محمد واستقام ملكه حتى توفي سنة 331 هـ وتولى ابنه المنتصر (عمره 13 سنة) فوثب عليه ابن عمه محمد بن الفتح وخلعه سنة 332 هـ وتنكر للفاطميين وسمى نفسه بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر ورفض المذهب الخارجي واخذ بمذهب أهل السنة وطبع السكة وكان عادلا حسن السيرة وهو ما جعل جوهر الصقلي يحاصر سجلماسة سنة 347 هـ فخرج الشاكر منها وتحصن خارجها ثم دخلها متنكرا فقبضوا عليه وأرسلوه إلى القيروان ثم سجن برقّادة حتى مات سنة 354 هـ[4] .

ثانيا : الدولة الرستمية :

شهد المغرب الإسلامي في عصر الولاة العباسيين صراعا مع الحركات الخارجية التي يقودها أبو الخطاب انتهت بمصرعه سنة 144 هـ ، وكان عبد الرحمان بن رستم على وشك تقديم المدد لزعيمه أبي الخطاب لكنه تراجع إلى المغرب الأوسط بعد سماعه بمصرعه [5] فاستقر بجبل سوفجج المحصن طبيعيا (قرب تيهرت) [6] فتسامع به علماء الاباضية فقصدوه والتفت حوله قبائل هوارة ولواتة ، ثم لحقت به قوات العباسيين بقيادة ابن الأشعث وحاصرته فطال الحصار وسئم الجند العباسيون وانتشر فيهم الطاعون وهلك عدد منهم ففكوا الحصار ، [7] ليخلو الجو لعبد الرحمان

---

[4] المرجع السابق ،ج 2 ، ص ص 588 – 589 .

[5] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 39 – 40 .

[6] المعروفة حاليا باسم تيارت .

[7] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص ص 152 – 153 .

بن رستم الذي اجتمع حوله الناس والعلماء والفضلاء ثم أسس مدينة تاهرت لتكون عاصمة لملكه سنة 144 هـ [8].

تمت مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة سنة 160 هـ حيث أرسى قواعد دولته ورسخ دعائمها ودانت له قبائل المنطقة وقد كان إماما عادلا مستشيرا لأصحابه [9] زاهدا في عيشه متواضعا لقومه وتوفي سنة 171 هـ بعد أن عين سبعة من خيرة رجال دولته وأوكل إليهم مهمة اختيار الحاكم من بعده [10] وهو ابنه عبد الوهاب [11] الذي لم يقبل بإمامته البعض حيث قام يزيد بن فندين بالطعن في إمامة عبد الوهاب وأنكر إمامته وبذلك ظهرت فرقتا النكّارية والوهبية ودخلوا في حرب انتهت بهزيمة النكّارية ومقتل ابن فندين ، كما حاولت قبيلة هوارة الخروج عن طاعة عبد الوهاب وبعدها ساد الهدوء والاستقرار الدولة وامتد نفوذه حتى طرابلس وتوفي عبد الوهاب سنة 211 هـ ، فاختار أهل الشورى افلح بن عبد الوهاب وبايعوه لورعه وتقواه وحسن سيرته فاعتنى بدولته وعدل في رعيته فانتشر الأمن وقضى على ثورة خلف بن السمح كما نشبت ثورة بقيادة فرج النفوسي الذي فر إلى بغداد وتوفي افلح في 240 هـ [12].

تولى الإمامة أبو بكر بن افلح [13] الذي انغمس في الترف واللهو وأوكل مهمة التواصل مع رعيته لصهره ابن عرفة الذي استبد بالحكم فأمر الإمام أبو بكر احد غلمانه فقتله فثار أنصاره ودخلت الدولة في فتنة وكثر القتل والحرق فتولى أخوه أبو اليقظان محمد الحكم سنة 241 هـ وتمكن من إخماد الفتنة وساد الأمن وبسط العدل بين الناس وبقي كذلك حتى توفي في 281هـ ، فخلفه أبو حاتم يوسف بن

---

[8] ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 196 .

[9] عن أخبار ولاية عبد الرحمن بن رستم انظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق : محمد ناصر إبراهيم بحاز ، ص 25 وما بعدها .

[10] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص ص 547 – 550 .

[11] مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 81 .

[12] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 551 وما بعدها .

[13] عن أخبار ولاية أبي بكر بن افلح انظر: ابن الصغير: المصدر السابق ، ص 61 وما بعدها .

محمد الذي اشتهر بورعه، لكن كثرت في عهده الثورات والفتن في تاهرت وطرابلس فتآمر عليه أبناء اليقظان (أخوه من الأب) فقتلوه سنة 294 هـ ، فبويع اليقظان والدولة مضطربة أمورها خاصة بعد قدوم الفاطميين الذين دخلوا تاهرت بقيادة أبي عبد الله الشيعي سنة 296 هـ ، وقتل أبو اليقظان وانتهى أمر الرستميين الذين فر ما بقى منهم إلى جبل الأوراس وصحراء المغرب والأوسط وجبل نفوسة وجزيرة جربة [14] .

ثالثا : دولة الأدارسة :

بلغ الخلاف السني الشيعي في المشرق أوجه ، فقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسين (النفس الزكية) على أبي جعفر المنصور سنة 145 هـ واجتمع عليه أهل الحجاز واستولى على المدينة ثم مكة [15] ثم نشب بين الفريقين معركة فخ سنة 169 هـ ونكّل العباسيون بالعلويين ففر عمه إدريس بن عبد الله بن الحسن وتنكّر حتى وصل إلى المغرب ، ونزل سنة بمدينة وليلي سنة 172 هـ عند إسحاق بن عبد الله الأوربي فأجاره وأكرمه ، وتمكن إدريس[16] من نشر دعوته بين البربر لفصاحته وعلمه فالتفت حوله أمم من البربر ، وبايعوه بالإمامة ، وعن ذلك يقول السلاوي : ((لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينة وليلي عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي أقام عنده ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة ، جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم بنسب إدريس وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه ، فقالوا : الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد ، فما تريد منا ؟ قال : تبايعونه ، قالوا : ما منا من يتوقف عن بيعته ، فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر

---

[14] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 559 وما بعدها .

[15] للاستزادة انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 147 وما بعدها .

[16] عن أخبار دولة الأدارسة وحكامها انظر : ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 210 وما بعدها .

أحكامهم ... ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر بالمغرب الأقصى فبايعوه أيضا ودخلوا في طاعته ، فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته))[17]

كون ادريس جيشا افتتح به حصون تامسنا وتادلا وماسة التي حادت عن تعاليم الإسلام ، كما اخضع قبائل مغراوة وبني يفرن وتلمسان وبذلك اتسعت دولته وكانت العاصمة الأولى هي مدينة وليلي .

توفي إدريس بن عبد الله (إدريس الأول) في سنة 175 هـ وقيل 177 هـ وترك جاريته كنزة حاملا فوضعت غلاما اسمه إدريس على اسم أبيه فتكفل به راشد وتمت مبايعته بجامع وليلي سنة 186 هـ وبعد مقتل راشد تكفل به رجل اسمه أبو خالد بن يزيد وجدد له البيعة سنة 187 هـ وبايعته جميع قبائل زناتة وعظمت دولته [18] واتسعت وخضعت له المناطق المجاورة فلما ضاقت عليهم وليلي بنى لهم مدينة فاس سنة 193 هـ . وبعد أن توفي إدريس سنة 213 هـ ، خلفه ابنه محمد بعهد من أبيه ثم دخل مع إخوته في خلافات وتوفي محمد بن إدريس سنة 221 هـ ، فبايع الناس ابنه علي الملقب بحيدرة وتمتع الناس بالأمان في عهده حتى توفي سنة 234 هـ فخلفه أخوه يحي بن محمد الذي ازدهر العمران في عهده ثم توفي بتاريخ غير معروف فخلفه ابنه يحي بن يحي والذي كان ماجنا فأساء السيرة فثار عليه الناس ونفوه فبايع الناس علي بن عمر بالإمامة ثم دخلت الدولة في صراعات انتهت بزوال حكم الأدارسة (على الأرجح سنة 309 هـ)[19] .

رابعا : دولة الأغالبة :

شكلت الدولة الأغلبية سلطة سنية موالية للعباسين وقد أسسها إبراهيم بن الأغلب الذي كان واليا على الزاب واشتهر أمره وهو ما جعل هارون الرشيد يمنحه

---

[17] السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج 1 ، ص 68 .

[18] للاستزادة انظر السلاوي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 70 وما بعدها .

[19] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 136 وما بعدها ؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 465 وما بعدها .

استقلالا عن واكتفى بتبعيته الاسمية للعباسيين مقابل مبلغ من المال يبعثه وكان ذلك سنة 184 هـ .

كان إبراهيم بن الأغلب يجمع بين العلم والتفقه وحسن الرأي والحزم وقد اتخذ من القيروان عاصمة لملكه ، وكون قوة بحرية غزت صقلية وافتتحتها فيما بعد سنة 212 هـ ثم مالطة وسواحل ايطاليا ، وتوفي إبراهيم بن الأغلب سنة 196 هـ [20] وقد ذكر الرقيق القيرواني بعض أوصافه وخصاله بقوله : ((إن إبراهيم بن الأغلب فقيها ديّنا ، عالما شاعرا خطيبا ، ذا رأى وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكائدها ، جرىء الجنان طويل اللسان ، حسن السيرة. ولم يل إفريقية قبله أحد من الأمراء أعدل منه سيرة ولا أحسن سياسة ولا أرفق برعيّة ، ولا أضبط بأمر ، وكان كثير الطلب للعلم)) [21]

بعد وفاة إبراهيم بن الأغلب خلفه ابنه أبو العباس عبد الله الذي وكان ظالما لرعيته متعسفا وهو ما جعل بعض الصالحين ينصحونه بالعدل والإحسان لكنه استخفّ بهم فصلوا ركعتين ودعوا عليه فمات بعد خمسة أيام بقرحة تحت أذنه أصابته سنة 201 هـ [22] وخلفه زيادة الله بن إبراهيم سنة 201هـ والذي يعتبر من أفضل حكام بني الأغلب ، فقد اخمد الثورات مثل ثورة ابن الصقلبية سنة 207 هـ وثورة منصور بن نصير الطنبذي سنة 209 هـ ، كما غزا صقلية سنة 212 هـ (للقضاء على غارات الروم والحصول على مزيد من الغنائم وإذكاء جذوة الجهاد لمواصلة نشر الإسلام ناهيك عن نية زيادة الله التخلص من مثيري الشغب بإشراكهم في الجهاد وكذا الظهور أمام رعيته بمظهر الحاكم المجاهد المرابط على الثغر).

في سنة 223 هـ توفي زيادة الله وخلفه أخوه أبو عقال الأغلب فأحسن إلى الناس وأزال المظالم وزاد في أرزاق عماله وغزا أجزاء أخرى من صقلية وغنم منها ، وكانت

---

[20] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص ص 121 – 122 ؛ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 375 .

[21] الرقيق القيرواني : المصدر السابق ، ص 127 .

[22] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 95 – 96 .

أيامه هدوء بشكل عام عدا انتفاضة الخوارج في إقليم قسطيلية التي قضى عليها . وتوفي سنة 226هـ فخلفه أبو العباس محمد بن الأغلب الذي توسعت دولته نحو المغرب الأوسط ، واخمد الثورات (ثورة عمرو بن سليم التجيبي المعروف بالقوبع سنة 234 – 235 هـ) ، وقد انتهى أمره بالنفي سنة 242 هـ فخلفه ابنه أبو إبراهيم احمد بن محمد الذي كان رحيما برعيته فكان يوزع الدراهم على الفقراء وبنى المواجل والمساجد والقناطر والأسوار وتوفي سنة 249 هـ فخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله الثاني وتوفي بعام بعد ذلك فخلفه أبو الغرانيق محمد(ابن أخيه) سنة 250 هـ ، فبنى الحصون ومحارس على ساحل البحر وبنى مسجدا بالقيروان غاية في الجمال والروعة وتوفي سنة 261 هـ[23] ، فخلفه إبراهيم بن احمد الذي أسس مدينة رقّادة وكان حسن السيرة في البداية ثم أصبح سفاحا حتى أُصيب آخر عمره بجنون القتل ، وظهرت الدعوة الفاطمية في عهده فتاب عن أفعاله واعتق الناس ورد المظالم وغزا صقلية مرة أخرى ثم جنوب ايطاليا ففتح مسينا ثم طرمين taormina سنة 289 هـ كما توغل إلى الداخل وغزا قلورية calabria وكسنثة cozenza وفرض الجزية على أهلها وفي توفي سنة 289 هـ فخلفه ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم المتواضع المتقشف ناصر المظلومين مجالس العلماء غير أنه مات مقتولا سنة 290 هـ على يد اثنين من فِتية الصقالبة بأمر من ابنه زيادة الله الذي خلفه فسجن أعمامه ثم قتلهم وقتل الفتيين اللذين قتلا أباه كما قتل أخاه أبا عبد الله ، غير أن المدن الأغلبية بدأت تتهاوى في يد الفاطميين فحمل الذهب والجواهر وعزم على الهروب[24] نحو مصر وترك قصوره التي هجم الناس عليها وإنتهبوا ما بقي فيها ثم دخل الشيعة رقادة وزال حكم الأغالبة .[25]

---

[23] ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 96 وما بعدها .

[24] عن هروب زيادة الله وسقوط حكمهم انظر: ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 455 وما بعدها .

[25] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 399 وما بعدها .